

حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى (١)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى، وَقَدَّرَ فَهَدَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُجْتَبَى وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى وَنَبِيُّهُ الْمُصْطَفَى، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ مِنْ أَجْلِ مَقَامَاتِ الْإِيمَانِ وَأَسْمَى مَرَاتِبِ الْإِحْسَانِ: أَنْ يُحْسِنَ الْعَبْدُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَيَعْتَقِدَ فِي رَبِّهِ مَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْكَمَالِ، فَيُحْسِنَ الظَّنَّ بِهِ، وَيَمْلَأُ قَلْبَهُ بِحَمْدِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَحَشِيَّةِ عِقَابِهِ وَالطَّمَعِ فِي فَضْلِهِ.

وَحُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى هُوَ قُوَّةُ الْيَقِينِ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ مِنْ سَعَةِ كَرَمِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَنَصْرِهِ وَفَرَجِهِ، وَثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ. وَمَنْ أَحْسَنَ ظَنَّهُ بِاللَّهِ وَقَوَّى يَقِينَهُ بِهِ؛ كَانَ اللَّهُ لَهُ كَمَا ظَنَّ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى هُوَ خُلُقُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَطَرِيقُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ، فَهَذَا نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - خَرَجَ بِقَوْمِهِ فَاتَّبَعَهُ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغِيًّا وَعَدُوًّا، فِي مَوْقِفِ عَصِيبٍ، وَمَشْهَدِ يَحَارٍ فِيهِ اللَّيْبُ: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ* قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ فَكَانَ اللَّهُ عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّهِ بِهِ، فَانْفَلَقَ لَهُ الْبَحْرُ؛ ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّوْدِ الْعَظِيمِ* وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْأَخْرِينَ* وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ* ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ﴾.

(١) للشيخ محمد السبر، قناة التلغرام <https://t.me/alsaberm>

وَهَذِهِ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ هَاجِرٌ يَأْتِي بِهَا إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مَعَ رَضِيعِهَا إِلَى أَرْضِ جَرَدَاءَ لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ، فَتَرَكَهَا وَمَضَى لَوَجْهِهِ، فَتَنَادِيهِ: يَا إِبْرَاهِيمُ! يَا إِبْرَاهِيمُ! وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ: اللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَقَالَتْ: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا، فَكَانَ اللَّهُ عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّ هَذِهِ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ، فَتَفَجَّرَ مَاءٌ زَمْرَمَ مِنْ تَحْتِ قَدَمِي رَضِيعِهَا.

وَهَذَا نَبِيُّنَا ﷺ كَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ تَوَكُّلاً وَثِقَةً بِرَبِّهِ؛ يَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِراً مُتَحَفِياً، فَيَطْلُبُهُ الْمُشْرِكُونَ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْغَارِ وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ إِلَّا خَطَوَاتٍ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ وَاقِفاً مُسْتَيْقِناً بِوَعْدِ رَبِّهِ مُحْسِناً الظَّنَّ بِهِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا! فَقَالَ: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِأَنْتَيْنِ اللَّهُ تَالِيَهُمَا» مُتَّفِقٌ عَلَيْهِ. فَأَعْمَى اللَّهُ أَبْصَارَهُمْ وَخَيَّبَ سَعْيُهُمْ، وَنَصَرَهُ وَأَظْهَرَ دِينَهُ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى مَبْنِيٌّ عَلَى أَمْرَيْنِ: صِحَّةِ الإِعْتِقَادِ فِي اللَّهِ، وَإِحْسَانِ الْعَمَلِ فِي طَاعَتِهِ. فَحُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى عِبَادَةٌ قَلْبِيَّةٌ جَلِيلَةٌ، تَبَعَتْ عَلَى الْعَمَلِ بِهَمَّةٍ عَالِيَةٍ، وَمَتَى خَلَا إِحْسَانُ الظَّنِّ مِنَ الْعَمَلِ فَهُوَ غُرُورٌ خَادِعٌ، وَسَرَابٌ لَامِعٌ؛ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَحْسَنَ الظَّنِّ بِرَبِّهِ، فَأَحْسَنَ الْعَمَلِ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ أَسَاءَ الظَّنِّ بِرَبِّهِ، فَأَسَاءَ الْعَمَلِ"، وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَإِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَحْمِلُهُ عَلَى حُسْنِ الْعَمَلِ ظَنُّهُ بِرَبِّهِ أَنْ يُجَازِيَهُ عَلَى أَعْمَالِهِ وَيُنَبِّئَهُ عَلَيْهَا وَيَتَقَبَّلَهَا مِنْهُ، فَالَّذِي حَمَلَهُ عَلَى الْعَمَلِ حُسْنَ الظَّنِّ، فَكَلَّمَا حَسُنَ ظَنُّهُ حَسُنَ عَمَلُهُ، وَإِلَّا فَحُسْنُ الظَّنِّ مَعَ اتِّبَاعِ الْهَوَى عَجْزٌ".

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ سُوءَ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى قَدْخٌ فِي التَّوْحِيدِ، وَهُوَ حَالُ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾، وَذَمَّ سُبْحَانَهُ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ أَسَاءُوا الظَّنَّ بِهِ؛ فَقَالَ: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ

ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ، فَظَنَّ السُّوءَ بِاللَّهِ هُوَ ظَنُّ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ لَا يَلِيْقُ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى وَذَاتِهِ الْمُبْرَأَةَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ، وَمَا تَقْتَضِيهِ رُبُوبِيَّتُهُ وَتَسْتَلْزِمُهُ أُلُوْهِيَّتُهُ، وَمَتَى عَرَفَ الْعَبْدُ رَبَّهُ وَمَا لَهُ مِنْ صِفَاتِ الْجَلَالِ وَنُعُوتِ الْكَمَالِ فَاضَ قَلْبُهُ بِمَحَبَّتِهِ، وَلَآنْتُ جَوَارِحُهُ لِبَطَاعَتِهِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: نَمَّةَ مَوَاطِنُ وَأَحْوَالُ يَتَأَكَّدُ فِيهَا حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مِنْهَا: عِنْدَ التَّوْبَةِ، فَمَتَى أَيْقَنَ التَّائِبُ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَقْبَلُ التَّوْبَةَ وَيُقْبِلُ الْعُثْرَةَ وَيَغْفِرُ الرِّلَّةَ قَبْلَ اللَّهِ مِنْهُ تَوْبَتَهُ وَمَحَا هَفْوَتَهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

وَمِنْ مَوَاطِنِ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ عِنْدَ الدُّعَاءِ؛ فَيَدْعُوهُ، وَيُحْسِنُ الظَّنَّ بِأَنَّهُ سَيَجِيبُ سُؤْلَهُ وَيَنْبِلُهُ طَلْبُهُ؛ قَالَ ﷺ: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٌ لَاهٍ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ. قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ: "وَحُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ لِقَاحُ الْإِفْتِقَارِ وَالْإِضْطِرَّارِ إِلَيْهِ، فَأِذَا اجْتَمَعَا أَتَمَرَ إِجَابَةُ الدُّعَاءِ".

وَإِنِّي لَأَرْجُو اللَّهَ حَتَّى كَأَنِّي ***أَرَى بِجَمِيلِ الظَّنِّ مَا اللَّهُ صَانِعُ

وَعِنْدَ الْمَوْتِ يُحْسِنُ الْعَبْدُ ظَنَّهُ بِرَبِّهِ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ بِالْمَوْتِ، فَبَشِّرُوهُ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ وَهُوَ حَسَنُ الظَّنِّ بِهِ، وَإِذَا كَانَ حَيًّا فَخَوِّفُوهُ بِرَبِّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-".

وَعِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ يَعْظُمُ حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ؛ فَإِنَّ الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ خَلَفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي عَزْوَةِ تَبُوكَ لَمْ يُكْشَفْ عَنْهُمْ مَا بِهِمْ مِنْ كَرْبٍ وَضَيْقٍ إِلَّا بَعْدَمَا أَحْسَنُوا الظَّنَّ بِرَبِّهِمْ. ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: " كَلَّمَا كَانَ الْعَبْدُ حَسَنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ، حَسَنَ الرَّجَاءِ لَهُ، صَادِقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحَيِّبُ أَمَلَهُ فِيهِ الْبُتَّةَ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يُحَيِّبُ أَمَلٌ أَمِلٍ، وَلَا يُضِيعُ عَمَلٌ عَامِلٍ".

حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ لَا يَعْني التَّوَكُّلَ أَوْ الرُّكُونَ إِلَى الْكَسَلِ، بَلْ هُوَ قُوَّةٌ تَحْفُزُ الْإِنْسَانَ عَلَى الْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ، وَأَنْ يَبْذُلَ الْمَرْءُ جُهْدَهُ، وَيَسْتَفْرِعَ وَسْعَهُ لِخِدْمَةِ دِينِهِ، وَبِنَاءِ وَطَنِهِ، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾.

وَمِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِاللَّهِ، الشَّكُّ فِي إِنْفَاقِ وَعْدِهِ، وَالظَّنُّ بِأَنَّهُ لَا يَنْصُرُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّ الْكَافِرِينَ يُعْجِزُونَهُ بِقُوَّتِهِمْ، فَهَذَا ظَنٌّ بَاطِلٌ، وَحُسْبَانٌ فَاسِدٌ ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَعْدَهُ رَسُولُهُ﴾، ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا أُوْاهِمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾.

فَإِخْذَرُوا رَجْمَكُمُ اللَّهُ مِنْ تَسَلُّطِ الْيَأْسِ وَالْقَنُوطِ إِلَى النُّفُوسِ عِنْدَ تَوَالِي النِّكَبَاتِ وَنَزُولِ الْبَلَايَا بِالْمُسْلِمِينَ، فَاصْبِرُوا وَاسْتَبْشِرُوا وَأَمْلُوا؛ وَاعْلَمُوا أَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ الْبَلَاءَ مَهْمَا طَالَ فَهُوَ إِلَى زَوَالٍ بِإِذْنِ اللَّهِ، ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ صِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْنَا، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ؛ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ؛ فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَكَفَى، وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى، وَبَعْدُ؛ فَاتَّقُوا اللَّهَ- عِبَادَ اللَّهِ- حَقَّ التَّقْوَى، وَاسْتَمْسِكُوا مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، وَأَحْسِنُوا الظَّنَّ بِرَبِّكُمْ، وَأَحْسِنُوا لَهُ الْعَمَلَ؛ تَفُوزُوا بِالرِّضَا وَالرِّضْوَانِ مِنَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ، وَنَزُولِ رَفِيعِ الْجَنَانِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَمْرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾؛ اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ، وَصَلِّ عَلَى الْأَلِ الْأَطْهَارِ، وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَجَمِيعِ الصَّحْبِ الْأَخْيَارِ.

اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشِّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَاجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ أَمِنًا مُطْمَئِنًّا وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ وَفِّقْ خَادِمَ الْحَرَمِينَ الشَّرِيفِينَ، وَوَلِيَّ عَهْدِهِ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى.

عِبَادَ اللَّهِ: عِبَادَ اللَّهِ: اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

•• | لمتابعة الخطب على: (قناة التليجرام) / <https://t.me/alsaberm>